تاريخ استقبال المقال: 2018/02/21 تاريخ قبول نشر المقال: 2018/10/29 تاريخ نشر المقال: 2018/12/31

السجع عند ابن سنان الخفاجي (من منظور الصوتيات)

زينب بن قيراط
قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة باجي مختار -عنابة- الجزائر

الملخّــص:

لكل بلاغي طريقته الخاصة في اختيار ما يناسب اتجاهه، لذلك كان تصور ابن سنان الخفاجي لبنية السجع مبنيا على أسس صوتية وصرفية ودلالية، جاعلا منها الأصل والأس في دراسته البلاغية، فجاءت هذه الدراسة المتواضعة لتكشف عن مدى نجاعة هذه الأسس في إثراء مبحث السجع من طريق استظهار أهم الآراء التي نبعت من واحد من أعلام الدرس البلاغي العربي، انطلاقا من رصيده المعرفي وخلفيته المذهبية التي تريد توجيه الدراسات الصوتية بما يتلاءم مع مبادئها ومعتقداتها البلاغية المرتكزة على إدراك الفصاحة.

الكلمات المفتاحية: سجع ، بلاغة، سر الفصاحة، الدراسات الصوتية، ابن سنان الخفاجي.

Résumé :

Tout rhéteur a sa propre méthode au choix de ce qui va avec son courant, c'est ainsi qu'Ibn Sinan Al Khafaji choisit l'assonance sur des bases phonétiques, conjugationnelles et sémantiques, en faisant le fondement de son étude. Cette humble étude vint mettre la lumière sur l'efficacité de ces fondements dans l'enrichissement de la recherche au créneau de l'assonance en mettant l'exergue sur les approches les plus importantes de l'un des pionniers du cours rhétorique arabe, en partant de son savoir et de ses penchants de courant, voulant orienter les études phonétiques vers ce qui va avec ses principes rhétoriques s'appuyant sur la perception de l'éloquence.

Mots clés : Assonance, Rhétorique, Le secret de l'éloquence, les études phonétiques, Ibn sinan al - khafadji.

Abstract :

It goes without saying that any rhetorist has his own method of choosing what goes with his current, so Ibn Sinan Al Khafaji chooses the assonance on phonetic, conjugational and semantic bases, making the foundation of his study. This humble study sheds light on the effectiveness of these foundations in enriching research in the field of assonance by highlighting the most important approaches of one of the pioneers of the Arabic rhetoric

course, starting from his knowledge and his ideological inclinations, wanting to direct the phonetic studies towards what goes with his rhetorical principles based on the perception of the eloquence.

Keywords: Assonance, Rhetoric, The secret of eloquence, the phonetic's studies, Ibn sinan al -khafadji.

مقدمة :

شكل السجع في البلاغة العربية محور اهتمام الدارسين على اختلاف توجهاتهم منذ أن سلّط النظر عليه أعلام البلاغة وأصحاب الفصاحة، كل واحد بما يتماشى ومنطلقاته الفكرية والمعرفية والمداخل الخاصة بدراسته؛ فمنهم من تناول السجع لاعتبارات موسيقية وإيقاعية بحتة، ومنهم من عني بالسجع في القرآن الكريم والفاصلة القرآنية، ومنهم من تناوله من وجهة تعليمية تاريخية، فهو فن بديعي ووسيلة فنّية استخدمها الكتاب المبدعون في خطاباتهم الشعرية والنثرية لتحقيق أغراض جمالية في العمل الإبداعي، وتأثير في المتلقي من طريق خلق علاقات صوتية بين العبارات المتجاورة مبنية على أساس اختيار الألفاظ، ووضعها في سياقات يتناسب مبناها مع معناها، ومن هنا برزت أهمية المستوى الصوتي، بوصفه أول مستوى مكون للنّص الإبداعي (شعرا أو نثرا)، ومنه تتولد وتتشكل دلالة النّص، والذي لفت نظري إلى هذه القضية البلاغية، أنّها جاءت استجابة لانشغال فكري أصابني لمّا كنت أتصفح ما كتب عنها في أحد أهم مصادر البلاغة والنقد، وهو كتاب "سر الفصاحة" لابن سنان الخفاجي وتكونت عندي فكرة المقال لرصد كيفية معالجته لظاهرة السجع، فما مدى مساهمة توظيفه للفكر الصوتي في إثراء الدرس البلاغي العربي؟

طرح ابن سنان الخفاجي قضية السجع والازدواج[1]، عند حديثه عن المناسبة بين الألفاظ في الصيغ فعرّفه قائلا: "**ويُحَدُّ السجع بأنّه تماثل الحروفِ في**

مقاطع الفصول، وبعض النّاس يذهب إلى كراهة السجع والازدواج في الكلام ، وبعضهم يستحسنه ويقصده كثيرا ، وحجة من يكرهه أنّه ربّما وقع بتكلّف وتعمّل واستكراه، فأذهب طُلاوة الكلام وأزال ماءه ،وحجة من يختاره أنّه مناسبة بين الألفاظ تُحسنه ، وتُظهر آثار الصنعة فيها ولولا ذلك لم يرد في كلام الله تعالى، وكلام النّبي (ص) والفصيح من كلام العرب"[2].

وبهذا يتأسس السجع عند ابن سنان على جانبين اثنين هما:

- المستوى الصوتي.
- المستوى البلاغي.

يعني هذا أنّ هذين المستويين بينهما ترابط عميق، ولذلك فهو عندما عرّفه بأنّه تماثل في أصوات مقاطع الفصول استحسنه متى كان عفويا بعيدا عن التكلّف، وبما أنّ السجع يشكل بنية تعتمد على الإيقاع والصوت، فهي تشكل بذلك سمة أسلوبية تضفي على السياق جمالية خاصة من طريق التناسب والتناسج بين أصوات الألفاظ، لأنّ الصوت هو ما نسمعه ونحس به نتيجة الاهتزازات التي تحدث خلال العملية الصوتية، وهذه الاهتزازات الصوتية متى ما تلاقت وتآلفت أحدثت شحنات دلالية أثرت في المتلقي، وحققت الفائدة الإقناعية والتأثيرية للنّص الإبداعي.

ويواصل الخفاجي قائلا: "**وكما أنّ الشعر يحسن بتساوي قوافيه، كذلك النثر يحسن بتماثل الحروف في فصوله**"[3].

يؤكد الخفاجي بكلامه هذا على مبدأ التساوي في الشعر وتماثل الحروف في النثر، لأنّ السجع في الشعر يحكمه إيقاع المقاطع في البحور الشعرية، بينما في النثر يحكمه إيقاع الأصوات المتكرر المنتظم.

واللافت للنظر أنّ صاحب سر الفصاحة عالج ظاهرة السجع ضمن معطيات الفكر الصوتي العربي، والدليل تمهيده للحديث عن شروط الفصاحة من طريق الصيغة بقضايا صوتية، أفاد منها من التنظيرات للدرس الصوتي من مباحث جليلة القدر قدمها علماؤنا العرب القدامى، كالخليل بن أحمد الفراهيدي، وابن جنّي، وسيبويه...

ويواصل محلّلا ومناقشا ومبيّنا وجهة نظره في معالجته للسجع قائلا: "**والمذهب الصحيح أنّ السجع محمود إذا وقع سهلا متيسرا بلا كلفة ولا مشقة وبحيث يظهر أنّه لم يُقصد في نفسه ولا أحضره إلاّ صدقُ معناه دون موافقة لفظه، ولا يكون الكلام الذي قبله إنّما تُمُحَل لأجله وورد ليصير وُصلة إليه...**"[4]

وبهذا تكون وظيفة السجع حسب رؤية الخفاجي البلاغية، مرتكزة على التناسب الصوتي، وتحقيق مبدأ الإعتدال في التأليف بين الألفاظ والمعنى.

التناسب الصوتي

+

مبدأ الإعتدال في التأليف بين الألفاظ

+

المعنى

=

السجع

ولكن لابّد من التأكيد على مسألة مهمّة، أنّ هذا اللون البديعي لم يكن محدّدا ضمن التقسيمات التي نعرفها اليوم (علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع)، لأنّ تصنيف علوم البلاغة قد جاء متأخرا ولم يحدّد بدقة إلاّ مع السكاكي (ت626ه) في كتابه " **مفتاح العلوم** ".

على الرغم من هذا كله، فإنّ رؤيته البلاغية للسجع من منظور صوتي، تجعله يتجاوز فكرة كونه مظهرا جماليا، وكل هذا حسب وجهة نظري يعدّ فتحا جديدا في الدراسات البلاغية آنذاك، وما يوضّح ذلك أكثر مناقشته للرّماني في قضية السجع في القرآن الكريم بحيث يقول مبيّنا تفريق علماء البلاغة بينهما قائلا: " **فأما الفواصل التي في القرآن فإنّهم سمّوها فواصل، ولم يسمّوها أسجاعا، وفرّقوا، فقالوا: إنّ السجع هو الذي يُقصد في نفسه، ثم يُحمل المعنى عليه والفواصل التي تتبع المعاني، ولا تكون مقصودة في أنفسها**"[5].

وقال علي بن عيسى الرّماني:" **إنّ الفواصل بلاغة، والسجع عيب، وعلّل ذلك بما ذكرناه من أنّ السجع تتبعه المعاني والفواصل تتبع المعاني**"[6].

وقد ردّ عليه ابن سنان الخفاجي مبيّنا توجهه قائلا: "**وهذا غير صحيح، والذي يجب أن يُحرر في ذلك أن يقال: إنّ الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفصول على ما ذكرناه، والفواصل على ضربين: ضرب يكون سجعا، وهو ما تماثلت حروفه في المقاطع، وضرب لا يكون سجعا وهو ما تقاربت حروفه في المقاطع ولم تتماثل، ولا يخلو كلّ واحد من هذين القسمين –أعني المتماثل والمتقارب– من أن يكون يأتي طوعا سهلا، تابعا للمعاني، أو بالضد من ذلك، حتى يكون متكلّفا يتبعه المعنى، فإن كان من القسم الأول فهو المحمود الدالُّ على الفصاحة وحسن البيان، وإن كان من الثاني فهو مذموم مرفوض**"[7].

يتبيّن مما سبق أنّ: ابن سنان الخفاجي طرح قضية السجع، وشغل بالدفاع عنه –وخاصة في النّص القرآني– من طريق تفريقه بين مصطلحي السجع والفاصلة، ومخالفة الرّماني أكثر مما شغل بتحليل بنيته وبيان مكوناته[8].

انطلق صاحب الفصاحة في تفريقه بين السجع والفواصل من أنّ السجع بنية إيقاعية تحدث في البنية السطحية معتمدة على التكرار الصوتي؛ أي الحرف الأخير نهاية كل فقرة، ويسمى هذا الحرف بالروي وتسمى الكلمة موضع الروي بالفاصلة، "**ومن تحليله لأضرب الفواصل تبرز المعايير التي بواسطتها تتفاضل أنماط الفواصل، فالمحك الأساسي في ذلك هو أن تفضي المعاني إلى أي ضرب منهما إفضاء طبيعيا بحيث تأتي الفاصلة متمكنة في مكانها، أما إن كانت الألفاظ هي المفضية إلى الفاصلة فإنّ ذلك يجعل الكلام يعرض الإستكراه والضعف والتكلف**"[9].

والفواصل حسبه على ضربين:

أ- ضرب يكون سجعا: وهو ما تماثلت فيه الحروف في المقاطع.

ب- ضرب لا يكون سجعا: وهو ما تقاربت فيه الحروف في المقاطع، ولم تتماثل.

وذكر أمثلة كثيرة لهذين الضربين من القرآن الكريم:

1- النوع الأول: ما تماثلت فيه أصوات المقاطع في الفواصل:

لقوله تعالى:"**وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ، فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ، وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ**"[10].

فواصلها على التوالي:

والطُّورِ

وكتاب مَسْطُورٍ

في رق مَنْشُورٍ

والبيت الْمَعْمُورِ

فواصلها بالكتابة الصوتية مع تحديد مقاطعها:

والطور ← waṭ /ṭuur

مسطور ← mas/ṭuur

منشور ← man/šuur

معمور ← maᶜ/ muur

اشتملت هذه الآيات الكريمة على فواصل مكونة من مقطعين اثنين: الأول متوسط مغلق (ص ح ص) مختوم بصامت لا يمتد معه الصوت، وأما المقطع الثاني فهو طويل مغلق (ص ح ح ص) مختوم بصامت في الفواصل الأربعة وهو صوت الراء، ويتميز بأنّه صوت تكراري يحدث نتيجة قرع طرف اللسان لحافة الحنك مما يلي الثنايا العليا، فالإيقاعات الموسيقية للمقاطع وبخاصة التماثل الذي أحدثته أصوات المقطع الطويل المغلق الطاء، والشين، والميم جاء على ترتيب صوتي مناسبا لإيقاع القسم مع حركة الضمة الطويلة بالأمور العظيمة، والمشتملة على حكم جليلة جلالة خالقها، فهذا المزج بين حركات الصوت من فتح، ووقف، ومد، جعل إيقاع السجع في النّص ذا موسيقى مؤثرة في نفوس السامعين، متناغمة مع حركة الراء ذو الذبذبات القوية.

2- النوع الثاني: ما تقاربت فيه أصوات المقاطع في الفواصل:

لقوله تعالى:" **ق وَالقُرْءَآنِ المَجِيدِ ،بَلْ عَجِبُوا أَن جاءَهُم مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ**"[11].

فواصلها بالكتابة الصوتية مع تحديد مقاطعها:

المَجِيد ← ma/dʒiid

عَجِيب ← ᶜa/dʒiib

جاءت هاتان الآيتان مؤلفتين من مقطعين، فالمقطع الأول في كل واحدة منهما من النوع القصير، والثاني طويل مغلق (ص ح + ص ح ح ص)، فالإيقاع الصوتي في المقطعين الأخيرين مبدوئين بصوت الجيم، وكما هو معروف في علم الأصوات: أنّه صوت ثقيل على اللسان عند نطقه وسماعه، لأنّه صوت مركب وممزوج؛ أي يجمع بين الانفجار والاحتكاك مع حركة الكسرة الطويلة وصوت المد قبل الحرف الأخير، وفي الآيات قسم بالقرآن المجيد وعجب الكافرين واستنكارهم للبعث، ففواصل هاتين الآيتين غير متحدة اتحادا تاما، ومع هذا تحتفظ الفاصلة بإيقاعها وجرسها الموسيقي، إنّه الإيقاع الناتج عن تقارب مخارج حروف الدال والباء مع وجود حرف الياء، فعلى الرغم من هذا الإختلاف، فإنّ التناسب الصوتي يبقى محافظا على إيقاعه في الآيات.

وهنا تكمن أهمية الجانب الصوتي في ألفاظ القرآن الكريم وحروف كلماته بصفة عامة، والواقع منها في الفاصلة بصفة خاصة مازال في حاجة ماسة إلى دراسة صوتية لغوية تتعاون وتتعاضد فيها علوم اللغة الموروثة مع علومها الحديثة، وما يلزم لذلك من أجهزة وتطورات جديدة في علم الأصوات والموسيقى، وما يرتبط بها حتى يبرز بصورة واضحة جانب آخر من جوانب إعجاز القرآن الكريم في المجال الصوتي[12].

ومنها ذلك الإيقاع الموسيقي الناشئ من تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص، ومع أنّ هذه الظاهرة واضحة جدّ الوضوح في القرآن، وعميقة كل العمق في بنائه الفنّي، فإنّ حديثهم عنها لم يتجاوز ذلك الإيقاع الظاهري، ولم يرتق إلى إدراك التعدد في الأساليب الموسيقية، وتناسق ذلك كله مع الجوّ الذي تطلق فيه هذه الموسيقى، ووظيفتها التي تؤديها في كل سياق[13].

وما يمكن قوله عن صاحب سر الفصاحة، أنّه طرح قضية السجع من منظور صوتي بلاغي حينما تناول الفرق بين مصطلح السجع والفاصلة، ودافع عن وجوده في النّص القرآني ضمن شروط ومعايير لصحته من عدمها، حدّدها مخالفا بها ما ذهب إليه الرماني.

نستخلص مما سبق الأفكار الآتية:

1- أنّ السجع عند ابن سنان يقوم على أساس التناسب الصوتي، ومبدأ الاعتدال في التأليف بين الألفاظ والمعنى.

2- نادى ابن سنان بالوحدة الجمالية التي تنشأ من طريق السجع والفواصل.

3- تجاوز ابن سنان المستوى الصوتي لتحقيق بلاغة السجع إلى مستويات أخرى تركيبية ودلالية وتداولية، تأكيدا منه على أنّ الدرس البلاغي يتأسس ضمن الدراسة اللسانية.

4- أنّ السجع يتحقق متى ما ابتعد عن التصنع والتكلف، فلا يكون محمودا إلاّ إذا طلبه المعنى.

5- فرّق بين الموازنة والسجع في الفواصل، والموازنة أعمّ من السجع، لأنّ السجع تماثل أجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد نحو: الطور ومسطور ومعمور وما أشبه ذلك، وأما الموازنة فنحو: مجيد وعجيب وما كان على الوزن وإن لم يكن الحرف الآخر بعينه واحدا، وكل سجع موازنة وليس كل موازنة سجع[14].

6- ضرورة استقلال كل فاصلة بدلالة خاصة، وتوجيهها لإحداث الانسجام بين المعنى والسياق العام.

7- أن تكون الفواصل المتماثلة أو المتقاربة ذات نغم وجرس موسيقي، سهل النطق ذا عذوبة في السمع.

يواصل ابن سنان الخفاجي مناقشة الرماني، ويضيف كذلك موضّحا الأسباب والدوافع التي دعت العلماء إلى تسمية كل ما في القرآن فواصل قائلا: "**وأظن أنّ الذي دعا أصحابنا إلى تسمية كل ما في القرآن فواصل، ولم يسمّوا ما تماثلت حروفه سجعا رغبتهم في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة**[15] **وغيرهم، وهذا غرض في التسمية قريب... لأنّه لا فرق بين مشاركة بعض القرآن لغيره من الكلام في كونه مسجوعا، وبين مشاركة جميعه في كونه عرضا، وصوتا، وحروفا، وكلاما عربيّا، ومؤلّفا، وهذا مما لا يخفى فيحتاج إلى زيادة في البيان...**[16]".

نفهم من هذا أنّ القرآن الكريم المعجز بكلامه نزل بلسان عربي مبين، فكان فيه من الظواهر اللّغوية والبلاغية ما في لغة العرب، وجاز أن يسمّى ما فيه سجعا ما لم يرد نص شرعي يمنع ذلك، ولو أنّه أورد بأنّ الألفاظ التي يقع فيها السجع تسمى فواصل تأدّبا مع كتاب الله سبحانه وتعالى.

وقد تطلب هذا الجدل حول جواز تسمية ما في القرآن سجعا، أبحاثا ضافية في السجع، وحقيقته وأقسامه ومتى يحمد ومتى يذم، مما جعل السجع فصلا رائعا في البلاغة العربية، كما تطلب هذا أيضا البحث في الفواصل ولكن لا من حيث جواز إطلاقها وعدمه، فإنّهم جميعا متفقون على التسمية لأنّها مأخوذة من قوله تعالى في القرآن: " **الر كِتَابُ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ** "[17]، ولكن من حيث أنّ مراعاة الفواصل مناسبة لفظية، أو مناسبة معنوية[18].

وتجدر الإشارة إلى أنّ صاحب سر الفصاحة تناول مسألة السجع من طريق البناء النثري لا الشعري، وهذا يتمشى مع منطق منظوره الصوتي، لأنّه كما سبق وأن أشرت، بأنّ السجع في الشعر يحكمه قالب إيقاع المقاطع في

البحور الشعرية، بينما في النثر فيحكمه تماثل الحروف، وإيقاع الأصوات في الفصول.

ونقف أيضا في حد السجع على عنصر لم تستطع المحاولات المتكررة إنهاء القول فيه ذلك العنصر هو الوزن، فالخليل والرماني والرازي ومن سار على نهجهم يؤكدون على تذييل تعريف السجع بعبارة " **من غير وزن** " مؤكدين الفروق بين السجع والقافية باعتبارهما نظيرين، إلاّ أنّ في آثار البلاغيين والنقاد التعريفية ما يشير إلى توسع مفهوم السجع كالعلوي مثلا يجعل الوزن عنصرا أساسيا في حدّه، ويؤكد أنّ معنى السجع هو أن تتفق الفواصل في الكلام المنثور في الحرف أو في الوزن أو فيهما معا[19]، وابن سنان كان من الذين طرحوا فكرة الوزن في السجع ويذكر مثال لهذا الطرح قائلا: "**وأما قول أبي الحسين بن سعد[20] في بعض رسائله ... فلم أجد لسوء الظنّ مساغا، ولا لظاهر الإعراض قبولا ... غير أنّ النفس تستوحش لما ينكر من حيث عرفت، وتذم من حيث حمدت، ويتضاعف عليها الأسفُ للجفاء إذا وقع من معدن البر، والارتياب إذا كان رديفا للثقة، وأرجو أن أكون من تلوّن الزمان فيك على أمن، ومن وفائه بعهد مودتك على أقوى أمل[21]**.

ثم يواصل معلقا على ما ورد سابقا قائلا: " **فإنّ في هذا الكلام تركا للمناسبة بين الألفاظ؛ لأنّ " قبولا " ليس على وزن " مساغ " و" تستوحش" ليس بإزائها كلمة؛ لأنّه كان ينبغي أن يقال: تستوحش لما تنكر من حيث عرفت، وتنفر مما تذم من حيث حمدت، أو غير تنفر من الألفاظ التي تكون مناسبة لتستوحش، وكذلك البِر لا يناسب الثقة في الصّيغة، و" أَمنُ " ليس على**

وزن" أمَلٍ"، وهذا ليس بعيب فاحش، وإنّما هو ترك للأفضل والأولى من اعتماد المناسبة"[22].

إنّ المتأمل لهذا النص يدرك أنّه قصد الوزن الصرفي لا الوزن العروضي، وهذا يوحي بـــ :

1- يشترط أن يكون توافق صرفي، سواء أكان ذلك من طريق الموازنة الصوتية أم المماثلة الحرفية.

2- أن يكون اعتدال في مقاطع الفصول.

3- يجب أن يكون المقياس الصرفي منسجما مع الإيقاع.

4- ضرورة وجود تشاكل صوتي ودلالي وتركيبي، لتحقيق المناسبة اللفظية والمعنوية.

ويذكر ابن سنان الخفاجي أيضا نماذج كثيرة للسجع المحمود في كتابه، منها هاذان الحديثان:

عن ابن عبّاس، قال كان النّبي (ص) يعوّذ الحسن والحسين عليهما السلام يقول: "**أعوذ بكلمات الله التّامة، من كلّ شيطان وهامّة، ومن كلّ عين لامّة**[23] ولم يقل : " **مُلمّة** "؛ لأجل المناسبة"[24].

وكذلك قوله في بعض الحديث: "**فارجعن مأزورات غير مأجورات**"[25]، لأنّ "**مأزورات**" من الوزر والمستعمل "**موزورات**"، فجاء به هكذا لأجل المناسبة[26]، ومراعاة للوزن الصرفي كذلك.

نستنتج من هذا أنّ: ابن سنان ركز على فصاحة الكلمة وتناسق حروفها مع بعض الكلمات الأخرى في الحديثين السابقين، انطلاقا من منحاه الأساسي في النقد، وهو الاهتمام بالمفردات في النّص من حيث فصاحتها وتناسق

حروفها[27]. قدم البلاغيون في تناولهم لبنية السجع دراسة موسّعة حول المواصفات الأوّلية التي ينبغي أن توجد في السجع، ومنهم الخفاجي الذي بدأ حركته من منطقة الحرف المعزول دلاليا، والذي ينتج السجع من تكرار صورته السمعية في ختام كل عبارة، فهاهو يرثي لما أصاب بعض الخطب وغيرها من الكلام المنثور من تكلّف من جراء انشغال مبدعيها بصنعة التحسين بالمسجوع من القول، ونبذ التكرار وقدّم شرطا يجب اعتماده في السجع[28] قائلا : "**و ممّا يجب اعتماده فيها أن لا تُجعل الرسالة كلها مسجوعة على حرف واحد؛ لأنّ في ذلك تعرضاً للتكرار، وميلا إلى التكلف**"[29].

فهذا يعني أنّه لا يحسن –حسبه– إذا تكرر وتوالى، لأنّه يصبح تكلفا وتصنعا.

بناء على ما سبق يمكن القول:

– أنّ ابن سنان لم يهتم بذكر أقسام السجع وأنواعه كما وصفها وفسّرها وشرحها علماء البلاغة بعده، بل اكتفى بوصف الظاهرة، لأنّه معتزلي ينتمي إلى المدرسة الأدبية التي من أحد مبادئها: عدم الإكتراث بالتحديدات والتقسيمات.

– لم يركز على المظهر البديعي الجمالي، بقدر ما أسهب في طرح القضايا الصوتية أين تتمظهر المناسبة الصوتية من طريق الصيغة، كشرط لتحقيق الفصاحة.

– فرق بين السجع والفاصلة، وكان من الذين دافعوا عن وجود السجع (المحمود) في القرآن الكريم.

– اهتمامه بالأسس الصوتية والصرفية والدلالية ساهمت بشكل كبير في إثراء الدرس البلاغي العربي.

هذا استقراء بسيط لنصوص تتعلق بقضية السجع، حاولت من خلالها أن أبيّن منزلة هذا البلاغي المغمور، وأهمية مؤلفه " **سر الفصاحة** " وربّما أغفلت الكثير من القضايا التي تبرز مكانته أكثر بين علماء عصره، وهذا يحيل مباشرة إلى أنّه سيكون لنا مقال آخر، لكشف بلاغة رقي عرض وتحليل الخطاب النقدي في **(سر الفصاحة)**، وروعة الأداء في الخطاب الشعري **(الديوان)**.

الهوامش:

(1) الازدواج: اكتفى ابن سنان الخفاجي بذكره مع السجع، ولم يحظ بتعريف خاص به.

(2) (أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان)، سر الفصاحة، حققه وعلق عليه وصنع فهارسه: النبوي عبد الواحد شعلان، دار قباء، القاهرة، 2003 م، ص ص: 252-253.

(3) المصدر نفسه، ص :253.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المصدر نفسه، ص :254.

(6) ينظر، (أبو الحسن علي بن عيسى)، النّكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، حققها وعلّق عليها: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3 ، 1976م، ص :97 .

(7) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(8) محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، (د ط)، 1999م، ص:464،- بتصرف -.

[9] هدى عطية عبد الغفّار، السجع القرآني – دراسة أسلوبية –، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2001م، ص:81.

[10] سورة الطور، الآيات من 1 إلى 4.

[11] سورة ق الآية :1 و2.

[12] عبد الجواد محمد طبق، دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية، دار الأرقم، القاهرة، ط1، 1993م، ص: 19، (من المدخل).

[13] سيد قطب، التصوير الفنّي في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط17، 2004م، ص:87.

[14] ينظر: محمد العمري، الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر، أفريقيا الشرق، المغرب، (دط)، 2001م، ص:15.

[15] في هذا الكلام جواب عن حجة طالما تمسك الكارهون للسجع بها، وهي أنّ النّبي أنكر على بعض مستفتيه أن يسجع والجواب مشهور، وذلك أنّ النّبي لم ينكر عليه السجع، وإنّما أنكر عليه سجع الجاهلية الذي كثيرا ما توصل به إلى إبطال حقه أو إحقاق باطل، ويؤكد ذلك الرواية الأخرى، أسجعا كسجع الكهان، كان الذي يكرهه النّبي، إنّما هو سجع خاص، (علي محمد حسن العماري، قضية اللفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة العربيّة إلى عهد السكاكي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1999م، ص :322).

[16] سر الفصاحة، ص :256.

[17] سورة هود، الآية :01.

[18] علي محمد حسن العماري، قضية اللفظ والمعنى، ص :326 .

[19] ينظر، هدى عطية عبد الغفار، السجع القرآني، ص ص :31-32.

[20] أبو الحسين بن سع: هو أحمد بن سعد الكاتب، من أصبهان، نُدِبَ في أيام القاهر بالله إلى عمل الخراج، ثمّ صُرِف، وعدّ فضلاء أصبهان من أصحاب الرسائل، له من الكتب: كتاب الاختيار من الرسائل لم يسبق إلى مثله، (ياقوت الحموي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ،1993م، 1/263-64، باب الألف والحاء وما يليهما).

[21] سر الفصاحة، ص :258 .

[22] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[23] ابن ماجه (أبو عبد الله محمّد بن يزيد القزويني)، سنن ابن ماجه، تحقيق: رائد بن صبري ابن أبي علفة، دارالحضارة، الرياض، ط2015،2م، ص:544، (كتاب الطب، (باب ما يعوّذ به من الحمّى).

[24] المصدر السابق، ص :259 .

[25] المصدر السابق، ص:236، (كتاب الجنائز، (باب ما جاء في اتّباع النّساء الجنائز).

[26] المصدر السابق، ص ص :259 -260.

[27] عبد العاطي (غريب علي علام)، البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، دار الجيل، بيروت، ط ،2000م، ص:333.

[28] ينظر هدى عطية عبد الغفار، السجع القرآني، ص:55.

[29] سر الفصاحة، ص:262.

[30] أوردت نسبه كاملا من الديوان، لأنّ الشارحين أشارا إلى أن أغلبية المصادر أوردت نسبه متقطعا، ينظر، الخفاجي، الديوان، حققه وشرحه وعلق عليه: مختار الأحمدي نويوات، نسيب نشاوي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 2007م، ص:12، (من المقدمة).

[31] مدينة بالشام، الجوهري (إسماعيل بن حماد)، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، يناير/1990م، 115/1 ، مادة " حلب ".

[32] ينظر، المصدر السابق، ص:15 ، (من المقدمة).

[33] المصدر نفسه، ص :22.

[34] معرّة النعمان: وهي مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص، بين حلب وحماة ماؤهم من الآبار وعندهم الزيتون الكثير والتين، ومنها كان أبو العلاء المعرّي، ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م) ،156/5، (باب الميم والعين وما يليهما).

[35] المصدر السابق، ص :23، (من المقدمة).

[36] المصدر نفسه، ص ص : 24 -25، (من المقدمة).

(37) ينظر، الصفدي (صلاح الدين خليل بن ايبك)، الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2000،1م، 17 /272.

(38) ينظر، بروكلمان (كارل)، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط5، (د ت)، 46/5، والزركلي (خير الدين)، الأعلام، (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، مايو/2002م، 122/4، (باب العين والباء وما يليهما).

قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم، (رواية حفص عن عاصم).

1- بروكلمان (كارل)، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط5، (د ت).

2- الجوهري (إسماعيل بن حماد)، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، يناير/1990م.

3- الحموي (ياقوت)، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الجزء الأول، ط1 ،993م.

4- معجم البلدان ، دار صادر، بيروت، 1977م.

5- الخفاجي (أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان)، سر الفصاحة، حققه وعلق عليه ووضع فهارسه النبوي عبد الواحد شعلان، دار قباء، القاهرة، 2003م.

6- الديوان، حققه وشرحه وعلق عليه: مختار الأحمدي نويوات، نسيب نشاوي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 2007م.

7- الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى)، النّكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، حققها وعلّق عليها: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3 ،976 م.

8- الزركلي (خير الدين)، الأعلام، (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، مايو/2002م.

9- سيد قطب، التصوير الفنّي في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط17، 2004 م.

10- الصفدي (صلاح الدين خليل بن ايبك)، الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 000 م.

11- عبد الجواد محمد طبق، دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية، دار الأرقم، القاهرة، ط1، 1993م.

12- عبد العاطي غريب علي علام، البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1 ،2000م.

13- علي محمد حسن العماري ، قضية اللفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة العربية إلى عهد السكاكي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1999م.

14- ابن ماجه (أبو عبد الله محمّد بن يزيد القزويني)، سنن ابن ماجه، تحقيق: رائد بن صبري ابن أبي علفة، دار الحضارة، الرياض، ط2، 2015م.

15- محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، المغرب، (د ط)، 1999م.

16- الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشع ، أفريقيا الشرق، المغرب، (دط) ،2001 م.

قائمة الرسائل والأطروحات الجامعية:

*هدى عطية عبد الغفّار، السجع القرآني - دراسة أسلوبية -، *مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير*، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة عين شمس ،2001م.